luster of life

حكايات بنات أفكاري

{قصة قصيرة}

بريق الحياة

أمنية يحيى "رحيق البنفسج"

Des:chiva emin

بريق الحياة

أمنية يحيى

«رحيق البتفسج»

غلاف خارجي: الشفاء أمين

داخلي وتنسيق: رحاب جمال

عمل فريق جروب: حكايات بنات أفكاري

https://www.facebook.com/groups/BanatAfkare/?ref=share_group_link

كنت أسيروسط الظلام، و أنا ألهث أكاد أموت من شدة الظمأ، لا زالت تلك السحابة الرمادية تتبعني وتُشكّل حمايةً لي من فوق رأسي، استندت بجسدي النحيل المتعب إلى تلك الصخرة، و أنا أكيل السباب لنفسي و أنعتها بالغباء، كم كنتُ غبيًا حين صدقتها! لا أصدق أنني أوقعت نفسي وعائلتي وعالمي كله فريسة لتلك الخبيثة ذات الأظافر السوداء! لا أعلم أي قوة تلك التي جذبتني نحو صفحتها الشخصية! هل لردودها المدهشة على الأصدقاء؟! أم لتلك الصورة المحيرة _الشخصية_ التي تضعها كعنوان لغلاف صفحتها؟! كانت تناديني أنا دون غيري هكذا شعرت، معرفتها لما أحب وما أكره، اهتمامها بما أهتم زاد من ولعي بها، أعطيتها من وقتي الكثير، روت بداخلي غروري كرجل شرقي متزوج لا زال مرغوبًا لدى النساء رغم حبي لزوجتي إلا أنني أحببتُ تلك المغامرة، رؤية أمارات الغيرة تنهش في نفس زوجتي منحتني الكثير من الغرور، استمرتواصلنا أنا وشيري هكذا كان

اسمها أو هكذا ظننت، استبد بي الشوق فلم أعد أطيق صبرًا وودتُ لقياها بأي ثمن، ظلت تتدلل وتتمنَّع إلى أن أعطتني أخيرًا موعدًا للقاء، تأنقت و أنا أُمَنّي نفسي بالكثير ذهبت في موعدي معها عند الشارع الشرقي ولأنني كنت أظن نفسي آية في الذكاء لم أتوخَ الحذر، اختطفتني عباراتها الرشيقة، كم أبهرتني ثقافتها الكبيرة! لقد جعلت قلبي ينتفض، ويهتز ويكأنه سيخرج من جذوره ليرتمي تحت أقدامها، لا أصدق أنني وقعت أسيرًا لردودها الندية، وقد تعددت حواراتنا ولقاءاتنا، زفرت بضيق و أنا أنعت نفسي بأبشع الصفات، كيف لخبير في علم برمجيات الحاسب الآلي أن يقع في ذلك الفخ؟! كيف وقعتَ أسيرًا في غرامها يا رامز كيف؟! كيف صرتُ متيمًا بها راجيًا وِدّها ولهانًا بها كيف لامس همسها الندي شغاف قلبي؟! كيف لم أفطن للحقيقة و أنا الذي يفتخر دائمًا بتميزه، و أنه لا ينافسني أحدٌ من أقراني؟! يا للسخف! أيمكن أن يحدث هذا؟ أيعقل أن من بادلتها العشق والهيام كانت برنامجًا

متطورًا صنعته كائنات غريبة تمهيدًا لغزو الأرض؟! نعم هكذا انكشفت حقيقتها أمامي، وعندما أخذت مني الكثير من المعلومات أظهرت وجهها الآخر، كيف سقطت في حب برنامج كهذا؟ يا إلهي أشعر ببركان يشتعل بداخلي لدي الكثير من الأسئلة تتزاحم في رأسي لماذا أنا؟ ولماذا يريدون غزو الأرض واحتلالها؟ هل كانوا يراقبونني؟ فحيح كفحيح الأفعى تسلل إلى أذني يا إلهي لقد وصلوا، عليَّ الهروب لابد من إيجاد مخبأ آمن.

أولئك الفضائيون لا يمزحون مع البشر أبدًا، إنهم وحوش متطورة لا يمزقون الأجساد بل يسرقون منهم بريق الحياة، أجل بريق الحياة، لقد رأيت ذلك بأم عيني عند الشارع الشرقي، هناك حيث نزل بنا ذلك البلاء لأول مرة. كنت أبتاع بعض الأغراض حين استرعى انتباهي تلكم النساء ذوات الشعر الأسود القاتم الطويل الملون باللون القرمزي عند نهايته ومما زاد من دهشتي حين رأيتهم هي تلك الشفاه الغريبة التي يمتلكنها ذات اللون القرمزي،

أضف إلى ذلك نحافتهن المدهشة، لا أظن أنني قد رأيت من قبل امرأة ذات خصر نحيف بهذا الشكل، والعجب كل العجاب من تشابههم الكبير، إنهم كتوائم متطابقة لا تكاد تفرق بين أحد منهم.

ذلك اليوم شديد الغرابة انتبهت إلى سقوط أحد الباعة العجائز، إثر ضربة مباغتة سددتها له إحدى تلكم التوائم، ظننت أن الأمر محضّ شجار وسوف ينتهي لصالح العجوز بالتأكيد فقد تجمهر الناس حوله، داعمين إياه متوجهين بسياط كلماتهم اللائمة لتلك الفتاة ومن يرافقنها.

ظننتُ أن الأمر انتهى، لكن ما جفف الدم في عروقي هو رؤيتي لتلك الفتاة ومن معها، وهو يسددون نظراتهم القوية نحو العجوز فإذا به ترتجف أوصاله، ويصفرّ لونه وكأنما سلبه أحدهم بريق الحياة، وجفف الدم في عروقه، انتفض الرجل العجوز وشهق شهقة قوية، ظن الجميع وقتها أنه قد غادر الحياة.

التفت الجميع بذعر لتلكم الفتيات، وقد بادلتهن تلكم الفتيات نظراتٍ قوية محذرة التقطها البعض، والبعض الآخر قد أخذته الحمّية وراح يقف أمام تلك الوحوش ذات الأظافر السوداء، وحدث لهم مثل ما حدث للعجوز، أشعة شفافة تنفذ من أعين تلك الفتيات تجعل الضحايا تنتفض ويصفرّ لونها يفارقها بريق الحياة وكأنما جفت الدماء في عروقها.

ارتجفت أوصالي حين التقت عيناي بإحدى تلك الكائنات، إنها أمامي مباشرة، يا إلهي! تجمدت أطرافي شُلَّ عقلي عن التفكير لا أستطيع الحَراك، جُل ما استطعتُ فعله هو إغماض عيناي، لم أستطع فعل غير ذلك، لبرهة ظننتُ أن كل شيء قد انتهى، ولكن كان للقدر كلمة أخرى، اختلست النظر قليلًا من طرف عيناي فأنا ارتعد خوفًا فإذا بي أرى تلك الكائنات تمتد ذراعاها ويتطاولان لتمسك بالزوجان اللذان كانا يسيران خلفي، وهما يتشاجران ويلقي كل منهما باللوم والأخطاء على كاهل الآخر، فإذا

بذات الأظافر السوداء تلتقطهما بذراعيها الطويلين، وتضعهما أمام عينيها، حدث لهما مثل ما حدث للعجوز، فارتعدت فرائصي ودبّ الخوف في قلبي تُرى لماذا؟ كيف نجوت بتلك الأعجوبة؟! لم تستمر حيرتي طويلًا، فقد سمعت ذلك الكائن يتحدث عبر شيء يشبه الميكروفون الصغير:

- حسنًا سيدي لقد أخذت منهما طاقة غضب هائلة وشحنة حزن كبيرة تستطيع إمدادنا بالطاقة أيام و أيام.

- حسنًا حقدوس عليك الآن جمع جميع المصابين في مكان مظلم معًا في مكان واحد مزدحم، عليهم الشجار والغضب، حين يستيقظون من غفوتهم أريد امتصاص طاقة حياتهم حتى آخر قطرة، اجعلهم يحقدون على بعضهم البعض.

- سيدي وماذا نفعل مع الآخرين عند الشارع الجنوبي؟

- آه إنهم ضحايا خذليون وفزعون دعهم فهؤلاء لا توجد لديهم أدنى طاقة، لا تهدر طاقتك في القضاء عليهم سيموتون عند شروق الشمس، على أية حال فقد انتزع

منهم خذليون طاقة خذلان كبيرة، كما فعل فزعون الذي انتزع طاقة الخوف والفزع منهم.

وضعت كفي على فمي و أنا أحبس أنفاسي حتى لا ينتبه إليّ ذلك الكائن الكريه، لا أصدق أنه انصرف أخيرًا سقطتُ أرضًا من شدة التعب فقد اجتمع عليّ الألم والخوف والجوع والظمأ فلم تعد لدي طاقة لأي شيء، أغمضتُ عيناي، سقطتُ و أنا أردد يا الله كيف أنجو مما أنا فيه؟! حركتُ رأسي بصعوبة، و أنا أجاهد كي تحرر جفوني أسر عيناي، حركت أهدابي بتتابع، دارت مقلتاي في المكان من حولي، ابتلعتُ ريقي بصعوبة بالغة، و أنا أحاول انتزاع بعض الكلمات حاولت تحريك ذراعي الذي كان مثبتًا بشيء ما.

يبدو أنني أحدثت الكثير من الضجة، التفتت إليّ على إثرها، فتاة طويلة ذات بشرة بيضاء، عيناها بلون العسل، أشعر بأنها مألوفة لدي، لكن ذاكرتي خذلتني، ولم أتذكر أين ومتى رأيتها، يحيط وجهها حجاب أبيض

اللون، شعرت برجفة في قلبي حين لامست أناملها الرقيقة كفي وهي تقيم حالتي الصحية وتضمد جرح يدي، يبدو أنني ارتطمت بشيء ما حينما سقطت أرضًا.

انتبهت فجأة وسألتها:

- مَن أنتِ؟ وكيف قدمتِ بي إلى هنا؟

ثم دارت عيناي في المكان و أنا أردد:

- و أين نحن؟

لاحظت اضطرابي، فهدأتني قائلة:

- اهدأ اهدأ أنا وسام.

ثم أردفت الطبيبة وسام:

- ومن أحضرك إلى هنا هم ضحايا الشارع الجنوبي.

- ماذا؟! _هتفت مستنكرًا_ كيف ذلك؟! لقد سمعتهم، آكد أنني سمعتهم، هناك ذوات الأظافر السوداء، لقد قالوا بأنهم سيموتون عند شروق الشمس كيف يُعقل أنهم هم من أنقذوني؟! لابد أنكِ تمزحين.

التفتت إليّ بعبوس وهي تردد:

- صدقني رامز هذه هي الحقيقة.

التفت إليها بتساؤل:

- تعلمين اسمي!

أجابت بتأكيد وهي باسمة:

- أجل رامز السيد طه، مهندس برمجيات في السابعة والعشرين من عمرك.

ساورني الشك، نظرتُ إليها بدهشة:

- ومن أين لكِ بهذه المعلومات عني ومَن أنتِ بالتحديد؟

أجابت بغموض وقد اختفت ابتسامتها المهذبة وحلّ مكانها بعض الضيق:

- ألا تعرفني؟

ثم أردفت بتقرير:

- أنا نصفك الآخر جانبك المعذب.

لم يترك لي القدر فرصةً للاندهاش، ففي لمح البصر أحاطت بنا ذوات الأظافر السوداء، من كل جانب، ويكأن الخطر يُحدِّق بنا بأعين ماكرة.

حاولت وسام حمايتي والذود عني، لكنني انتزعت ذلك المغذي من يدي، ونهضتُ من فراشي محاولًا الثبات، وبحركة لا إرادية وقفتُ أمام وسام، وفردتُ ذراعي ثم نظرت إليهم بهدوء.

- حسنًا أنا من تبحثون عنه لدي الكثير من الأحزان والخذلان واليأس والإحباط، بإمكانكم الحصول على وجبة دسمة من المشاعر السلبية.

يبدو أن العرض كان مغريًا بما يكفي ليسيل لعابهن، لكنني فجأة أردفتُ محذرًا:

- سأمنحكم نفسي طواعية بلا مقاومة شريطة أن تتركن الطبيبة وسام تنجو من براثنكن.

تبادلن بعض النظرات الماكرة.

هزّتني وسام من خلفي وهي متعلقة بثيابي، همست إليّ بغضب:

- لن أتركك وأرحل لنحيا معًا أو نموت معًا.

تعلّقت عيناي بعينيها، وفي لحظة مباغتة دفعت بنفسها أمامي، وهي مبتسمة برضا غريب، هالني ما رأيت تسمّرت قدماي في الأرض ولم أستطع الحَراك أشعر بالعجز لماذا لا أستطيع الذود عنها؟ كيف تحميني هي بينما أنا و اقف بلا حَراك؟ فجأة انقضّت علينا معًا ذوات الأظافر السوداء، رأيت بأم عيني كيف أخرجت كل منها لسانها المشقوق، وهي تصدر فحيحًا كفحيح الأفعى وقد غرست أظافرها السوداء في جسدي، وفي جسد وسام، بلا رحمة أو شفقة. حاولتُ الصراخ وطلب النجدة، لكن بلا جدوى من بعيد رأيت ضحايا الشارع الجنوبي يرمقوننا بحزن لكنهم لم يحاولوا مساعدتنا سالت دمائي ووسام.

فجأةً انقلب ميزان المعركة حين سقطتْ تلك السحابة الرمادية، التي كانت تر افقني منذ البداية أمامي وتشكّلت

على هيئة امرأة أعرفها حق المعرفة، أحفظ حركاتها وسكناتها عن ظهر قلب، التفتت إليّ بحنان بالغ ثم فجأة ضمتني أنا ووسام إلى قلبها، تركت ظهرها يتحمل عنا أنياب وأظافر أولئك الوحوش ذوات الأظافر السوداء، حاولت النهوض والدفاع عن أمي الحبيبة لكنها رفضت بثبات، وشدتني إليها من جديد، شعرت بها تكتم أنّاتِها وألمها، ثم احتضنتني عيناها للمرة الأخيرة، وقد تراخى ذراعاها من حولنا فقد فارقها بريق الحياة وتحوَّل جسدها إلى اللون الأصفر المقيت.

صرخت بصعوبة و أنا أدفع الهواء إلى صدري كمن يدفع الحجر الثقيل:

- أمي لا لا ترحلي لا.

ثم أردفتُ بنحيب هامس:

- لم يكن عليكِ إنقاذي، لم يكن عليكِ التضحية بنفسك من أجلي.

أظلمت الحياة من حولي وكأنما أهوي إلى بئر سحيق، اندفعت إليّ وسام تمد كفّيها إليّ، تحاول إنقاذي لكن بلا جدوى.

الآن أنا من يستسلم ويُلقي بنفسه إلى الهاوية، أنا بلا فائدة، أُلحق الأذى بمن أحب فحسب، استسلمت لخدر الموت شعرت به ينتزع الحياة من كل خلايا جسدي المُنهَك، لكن وسام تشبثت بيدي بكل قوتها وهي تزأر كأنثى أسد غضوب:

- انهض رامز انهض، لن أتركك تموت لن ترحل عني انهض.

شعرتُ بضربات تسددها نحو صدري شعرتُ بصعقات جهاز صدمات القلب، وهو يندفع نحو قلبي، يحاول انعاشه، و إفاقتي كلماتها وهمساتها الباكية كانا يتسللان إلى مسامعي، فتمسكتُ بحبل النجاة من أجلها.

صرخت وسام بنحيب وهي تقفز كالأطفال من شدة فرحها:

- لقد عاد، عاد رامز إلى الحياة.

اخترقت همهمات الأطباء أذني، قاموا بإخراج وسام من الغرفة، اطمأنوا على وظائفي الحيوية.

مرّت ثلاثة أشهر منذ أن عُدتُ من تلك الغيبوبة، ولم أستطع استيعاب أن كل ما مررت به كان محضّ حلم طويل، رافقني خلال فترة الغيبوبة اتضحت الحقيقة كاملة أمام عيني الآن.

أمسكت وسام زوجتي كفي وهي تحاول إخراجي من شرنقة المرض النفسي، كما ساعدتني على النجاة من الألم الجسدي، رافقتني إلى جلسة الطبيب النفسي الذي لا يُصدِّق ما قصصته عليه مرات ومرات وهو يحاول دومًا إجباري على العودة إلى أرض الواقع، وتقبُّل الأمر.

ها قد وصلنا يُصرُّ الطبيب أحمد رشدي على أن أواظب على جلسات العلاج النفسي، أشعر بالضجر و أنا أدلف إلى تلك الحجرة، ينقبض صدري حينما أسترخي على ذلك الفراش، و أقصُّ عليه كل شيء حدث معي.

ينتابني الغضب حين أشعر بعدم تصديقه لِما أقص عليه. بدأ حديثه مراوغًا وهو يتحدث عن أشياء مختلفة إلى أن قال:

- إذن سيد رامز أنت كنت تقود سيارتك، ومعك زوجتك السيدة وسام وإلى جانبك والدتك السيدة رحمة، ثم اصطدمت بشاحنة سوداء أدَّت إلى إصابتك بجراح عديدة أنت والسيدة وسام، لكن والدتك السيدة رحمة قد قضت نحبها وهي تُقدِّم نفسها فداءً لكما.

تجعّد جبيني حين كرّر كلامه ذلك الذي لا أصدقه في كل جلسة وظهر على وجهي الاستياء، فرمقني بدهاء، وهو يتساءل:

- إذن سيد رامز برأيك من هن ذوات الأظافر السوداء؟

بهدوء قاتل أجبته:

- لا أدري.

سألني بتركيز:

- هل نستطيع ربط الحادث بذلك الكابوس؟

استطاع أخيرًا جذب انتباهي، التقط هو ذلك بذكاء، فأردف قائلًا:

- إذن لماذا لا نقول أن عقلك الباطن قد صوّر لك والدتك بالغمامة التي كانت تحيط بك وتحميك؟ وأن الشاحنات السوداء هن ذوات الأظافر السوداء؟

لأول مرة أبتسم إليه وأشعر بأن كلامه منطقي، توالت الجلسات النفسية لأخرج من تلك الصدمة التي أصابتني، إثر فقدي لوالدتي، فقد خففت عني تلك الجلسات، معاناتي وشعوري العميق بالذنب تجاه والدتي وتجاه وسام.

بعد مرور عدة أشهر شعرت بالتحسن، عُدتُ لعملي وحياتي الطبيعية.

اليوم أنهيت عملي باكرًا، قبل المغادرة، توجهتُ إلى بريدي الإلكتروني، وقد جحظت عيناي حين قرأت تلك الرسالة:

- عزيزي رامز لن تُفلت مني هذه المرة سآتي إليك ربما اليوم، ربما في الغد، ربما بعد عشر سنوات، لأمتص بريق حياتك، لألتهم مشاعرك السلبية جميعها، وأحتل الأرض كلها وألتهم الكثير من مشاعركم السلبية.

إمضاء/ ذات الأظافر السوداء

تمت بحمد الله